

إشادة الطيب العقبي بدور الصحافة الجزائرية من خلال قصيدة "الجزائر تُحيي الجزائر"

Tayeb Al-Aqbi praises the role of the Algerian press through his poem "Algeria Salutes Algeria"

د. زينب نسارك

جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، الجزائر

zineb.nessark@univ-bejaia.dz

تاريخ النشر: 2026/03/31

تاريخ القبول: 2026/02/24

تاريخ الإرسال: 2025/04/24

الملخص:

تهدف من خلال هذا البحث الوقوف على واحدة من أهم المراحل التاريخية في الجزائر وهي المرحلة التي سبقت الثورة التحريرية ومهدت لها عن طريق مجموعة من النشاطات الإصلاحية، وقد توقفنا عند واحد من رجال الإصلاح في الجزائر وهو الشيخ الطيب العقبي والذي يعدّ من أهم رجال الإصلاح في الجزائر في بداية القرن الماضي، فقد كان عضوا مهما في جمعية العلماء المسلمين، وهذا من خلال محاولة التركيز على تجربته في الصحافة المكتوبة من خلال ما كان ينشره في الجوائد والمجلات، وكيف كان تعامله مع الصحافة الجزائرية التي شكّلت عقبة كبيرة أمام الاستعمار الفرنسي، كذلك رأيه فيها، كونه كان عضوا فاعلا في الحركة الإصلاحية وفي إنشاء اللجنة الأولى للصحافة الجزائرية.

كما توقفنا على قصيدته "الجزائر تحيي الجزائر" والتي قالها ليحيي مهنة الصحافة ويظهر قيمتها في المجتمع الجزائري خاصة أثناء الفترة الاستعمارية، فحاولنا الوقوف على أهم الجوانب الفنية والموضوعية للقصيدة. وقد كان من بين النتائج المتوصل إليها هو اعتبار الصحافة الإصلاحية الجزائرية لجنة أساسية للصحافة الحديثة ثم للصحافة المعاصرة، وهذا نظرا للمبادئ الوطنية التي انطلقت منها وتمسكت بها.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، التحرر، الصحافة الإصلاحية، الطيب العقبي، قصيدة الجزائر تُحيي الجزائر .

Abstract:

This study aims to examine one of the most significant historical phases in Algeria, namely the period preceding the Algerian Liberation Revolution, which paved the way for it through a range of reformist activities. The research focuses on one of the prominent reformist figures in Algeria, Sheikh Tayeb El Okbi, who is considered one of the leading reformers in the country at the beginning of the twentieth century. He was an influential member of the Association of Muslim Ulema (Scholars), and this study highlights his experience in the printmedia through his contributions to newspapers and magazines. It also examines his engagement with the Algerian press, which constituted a major obstacle to French colonialism, as well as his views on the Algerian press, given his active role in the reformist movement and in laying the foundations of Algerian press.

The study also analyzes his poem "Algeria Greets Algeria", which he composed to pay tribute to the profession of journalism and to emphasize its value in Algerian society, particularly during the colonial period. The research explores the main artistic and thematic aspects of the poem. Among the key findings is the conclusion that Algerian reformist journalism represents a fundamental cornerstone of modern and contemporary journalism, owing to the national principles on which it was founded and to which it remained committed.

Keywords: Algeria, "Algeria Greets Algeria" poem ; liberation ; reformist press ; Tayeb El Okbi,

1. مقدمة:

شكّلت الصّحافة الجزائرية الإصلاحية دورا مهما في النشاط الإصلاحي الجزائري وكذلك النشاط السّياسي خلال العهد الاستعماري ومع البدايات الصحفية الأولى، لذا مثّلت منبرا حيويا للتعبير عن تطلّعات المجتمع الجزائري وهويته الثقافية والدينية، فظهرت مجموعة من الصّحفيين المصلحين وبرزوا في مجموعة من الصّحف والمجلّات، والذين كان لهم موقفا واضحا تجاه الاستعمار الفرنسي، على الرغم من المضايقات التي تعرضوا لها، والمضايقات التي تفرضها السّلطات الاستعمارية للحدّ من تأثيرهم.

كانت الصّحافة الإصلاحية الجزائرية أكثر من مجرد وسيلة لنقل الأخبار؛ فقد كانت أداة مقاومة فكرية وسياسية، لمساهمتها في نشر الوعي الديني والوطني، فقد ساهمت من خلال ما نشرته من مقالات في التأثير على المجتمع وخاصة الفئات المثقفة، كونها مصدرا لتوجيه المواقف وطرح النقاشات الفكرية.

وتنوع أهمية الموضوع في الوقوف على دور الصّحافة الجزائرية إبان الفترة الاستعمارية سواء قبل الثورة التحريرية أو أثناءها، وفي اعتبارها سلاحا فعّالا في مواجهة الاستعمار؛ وهو سلاح الكلمات والأفكار، وسلاح الوعي واليقظة. كما يسمح البحث بفهم كيفية تفاعل المجتمع الجزائري مع الخطابات الإصلاحية التي كانت تنشرها الصحافة الجزائرية رغم المضايقات الكثيرة التي كانت تتعرّض لها، ودور الإعلام في بلورة الوعي قبل اندلاع الثورة التحريرية.

ومن هنا فإن البحث سينطلق من الإشكالية التالية: ما هو دور الصحافة الجزائرية في العهد الاستعماري؟ وما مدى مساهمتها في تحرير الوطن ونشر الوعي؟ ثمّ، هل تجاوزت الطّبقة المثقفة مع الاتجاه الإصلاحي الذي كان يعتمد على العمل الصّحفي كوسيلة من وسائل التحرّر؟ وتتفرّع من هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات، من بينها:

• هل استطاعت الصحافة الإصلاحية أن تكون وسيلة فعّالة لمواجهة الاستعمار الفرنسي الذي سعى بكلّ الطرق لإخفاء جرائمه وسياسته الاستعمارية؟

• ما هو حجم تفاعل النخب مع المشروع الصحفي الإصلاحي بوصفه أداة للتحرّر الفكري والإصلاحي خاصة وهو في مراحله الأولى؟ وبالتالي ما حجم هذه الصحافة في خلق التأثير ونشر الوعي في الأوساط الثقافية والعامة؟

وللإجابة على هذه التساؤلات ينطلق البحث من مجموعة من الفرضيات، أهمها:

• أن الصحافة الإصلاحية لعبت دورا أساسيا في نشر الوعي الوطني ومقاومة سياسة فرنسا الاستعمارية التي كانت غايتها الأولى هي القضاء على كلّ منابر التحرّر ومن بينها الصّحافة.

. أن الصحفيين المصلحين أسهموا في تطوير الصحافة الجزائرية وفي محاولة نشر الوعي الوطني رغم كل المضايقات الاستعمارية التي تعرضت لها.

. أن تجاوب الطبقة المثقفة كان واضحا حتى ولو بدرجات متفاوتة، ما بين من يشجع العمل الصحفي ويراها سبيلا لنشر الوعي والتحرر، وبين من يرى أن الحصول على الحرية لن يكون إلا بلغة الحرب لا لغة الكلمة. ولهذا فالدراسة تنطلق من محاولة الإحاطة بالدور الذي لعبته الصحافة الجزائري في نشر الوعي الوطني بين أفراد المجتمع بمختلف طبقاتهم، وعلى رأسهم الكاتب والشاعر المصلح الطيب العقبي.

2. أوضاع الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية:

كانت الجزائر من أكثر الدول العربية تضررا من ويلات الاستعمار الفرنسي، فقد عملت فرنسا جاهدة من أجل تجريدتها من كيانها وأصالتها، وهذا بمحاربة اللغة العربية وتشويه الدين الإسلامي، إلى جانب الحرب الشرسة التي سقط فيها الآلاف، نتيجة سياسة القمع والاضطهاد، إضافة إلى إتباع سياسة الأرض المحروقة والإبادة الجماعية للقرى والمداشر، فلم يسلم شيء أمام وحشية المستعمر الفرنسي.

فسياسة فرنسا في الجزائر كانت تتمثل في القتل والتهجير، وهذا على حساب توفير سبل العيش والرفاهية للمستوطنين الجدد القادمين من فرنسا وباقي دول أوروبا. وقد اتبعت سياسة التعدي على حرمان المساجد ودور العبادة، والسعي إلى طمس الهوية العربية والاعتداء على الحقوق اللغوية، وهذا بمحاربة اللغة العربية ومنع تدريسها إلا بالحصول على رخصة من السلطات الفرنسية.

ونتيجة لهذه الظروف الاستعمارية ظهرت مجموعة من المقاومات الشعبية التي حاربت الاستعمار ورفضت فكرة وجوده منذ البداية بجميع الوسائل المادية والمعنوية، فقد كافح الجزائريون المستعمر بسلاحهم ودمائهم الغالية، كما كافحوه بأقلامهم، وهذا بظهور تيار إصلاحي يدعو إلى محاربة الاستعمار ويرفض فكرة الجزائر فرنسية.

مثل هذا الاتجاه مجموعة من الأقلام الأدبية الجريئة والشجاعة التي اختارت أن تدافع عن وطنها وتكون أيقونة النضال في سبيل الحرية والكرامة، ورمزا من رموز الكفاح السياسي والإبداع الأدبي، فرسمت لنفسها طريقا لا تحيد عنه، وهو طريق الحرية والنضال، فكان من بينهم الكتاب والشعراء المبدعون في مجالات أدبية عديدة منها الشعر والنثر والمسرح والصحافة، وكلها ترمي إلى التعبير عن الانتماء الديني والوطني وتأسيس لينة من لبنات التغيير والتحرير.

وكانت جمعية العلماء المسلمين إحدى ركائز الاتجاه الإصلاحية والتي كانت فاتحة لعهد جديد في مسار الجزائر، لأنها سعت إلى إحياء التراث العربي الإسلامي وإلى الحفاظ على الهوية الجزائرية، وهذا بفضل نشاطها الإصلاحية وبفضل جهود أعضائها الواعين بأهمية الإصلاح من أجل التغيير، والتي لم يتضح دورها كمؤسسة إصلاحية إلا مع "بداية الثلاثينات، بعدما أشادت قلاعاً فكرية وثقافية بزعامة نخبة متحمسة من رجال الإصلاح أمثال ابن باديس والإبراهيمي والعقي والميلي، وغيرهم من الذين واصلوا النهج الإصلاحية الذي أرساه الأوائل منذ بداية القرن"¹، فنشاط جمعية العلماء المسلمين كان رائداً في الإصلاح وفي نشر الوعي، والحفاظ على الهوية الوطنية، عن طريق إعداد نخبة من الرجال والنساء لحمل لواء النهضة الجزائرية الحديثة.

كان من بين أعضاء جمعية العلماء المسلمين الشيخ "الطيب العقي"، الذي عرفته الجزائر منذ مرحلة العشرينات مصلاً وكاتباً وصحفيًا، يدافع عن الحق ويسعى لنشر أفكار الحرية والتحرر، فقد ساهم كثيراً في توفير الجو الملائم لميلاد الجمعية والحرص على استمرار نشاطها وتحقيق أهدافها.

3. محطات في حياة الطيب العقي:

1.3. مولد ونشأة الطيب العقي :

ذكر المؤرخ أحمد مريوش أن مولد العقي كان في مدينة بسكرة بسيدي عقبة وذلك "في ليلة 1 جانفي 1890، وهو الطفل البكر لأبيه، وقد تزامن مولده مع العقد الذي ولد فيه الإبراهيمي وابن باديس"²، وقد نشأ وترعرع في أسرة متواضعة الجاه، عرفت بالورع والتقوى.

3. 2. هجرته إلى الحجاز:

هاجرت أسرة العقي إلى الحجاز، بعدما قصدت الحج إلى بيت الله الحرام، وقد كانت أسباب الهجرة سياسية نظراً لبطش الاستعمار الفرنسي ولقوانينه الجائرة ضد الجزائريين، وقد استقرت عائلته بالمدينة المنورة، أين نشأ وسط بيئة علمية ثقافية، فتمكن من حفظ القرآن الكريم على أيدي معلمين مصريين، كما "درس العلوم الدينية، وتعلم التجويد وأتقنه وأصبح من المجوّدين، وقد مكّنه رصيده الثقافي من متابعة دراسة الشريعة الإسلامية والرياضيات والآداب"³، وهذا ما يدل على سعة ثقافته وتكوينه. كما أنه قد نشأ وسط بيئة علمية ثقافية، تلقى مبادئ العلم على أيدي علماء أكفاء، منحوه مستوى علمياً وثقافياً مكّنه من تكوين شخصيته الأدبية والفكرية، وهو ما انعكس على نشاطه الإصلاحية والسياسية.

3.3. رجوعه إلى أرض الوطن:

ذكر أحمد مريوش أن "عودة العقبي إلى الجزائر يوم 03 مارس 1920، وهو في ريعان شبابه عن عمر يناهز إحدى وثلاثين سنة، وقد كان سبب عودته هو استعادة أرضه المنهوبة من قبل المواليين لفرنسا، إضافة إلى أسباب إصلاحية كان يرى أنه ملزم بالوقوف إلى جانب وطنه، عن طريق شق طريق الإصلاح والدعوة"⁴، فالظاهر أن عودة العقبي بعد نهاية الحرب مباشرة تخفي وراءها العمل الإصلاحي حقاً، ولعل هذا ما قد يفسّر توقّف العقبي في طريق عودته من الحجاز بمصر، إذ مكث فيها بضعة أيام، ولا نستبعد أن يكون العقبي قد تشاور مع رجال الحركة السلفية بمصر، وخاصة نشاطات رشيد رضا التي بلغت أوجها في تلك المرحلة، فهذا كان واضحاً بعد نشاطه الدعوي والإصلاحي بعد عودته إلى الجزائر.

4.3. نشاطه بعد العودة:

بمجرد عودة العقبي إلى أرض الوطن خاض معركة الإصلاح والبناء، فقام بمحاربة الجهل والأمية إضافة إلى الطريقة المنتشرة في وطنه، ودعا إلى تحرير العقول من الخزعبلات القديمة التي تهدّم المجتمع، وهو الأمر الذي صعب عليه كثيراً نتيجة تعاون هذه الفئة الضالة مع فرنسا، وهذا حتى لا تفتيق الأمة وتطالب بحقها من الحرية والعدالة الاجتماعية، فقد أصبح التيار الطرقي يشكّل حجر عثرة في وجه التطوّر بل أصبحت كل محاولة إصلاحية تلقى مقاومة عنيفة منهم خوفاً على مصالحهم، و"أصبحوا يحرضون الشعب على قبول السيطرة الاستعمارية والخضوع لها بدعوى طاعة أولي الأمر"⁵

وذكر أحمد مريوش في المرجع نفسه أن الطيب العقبي قد حارب التيار الطرقي لأنه رآه من المظاهر السلبية التي تحطم المجتمع الجزائري، لأن أصحاب الزوايا ورجال الدين الطرقيين كانوا يتكالبون على جمع الأموال وتحقيق الرغبات الخاصة بغض النظر على المصلحة العامة، وهذا جانب من المتاجرة بالدين وامتصاص أموال الشعب البائس. كما أشار إلى أن العقبي كان صريحاً في دعواه إلى الإصلاح فحارب الاتكالية وأهل الطرق، ونظر إلى الإسلام على أنه عقيدة وجهاد واجتهاد، ولهذا فقد اشتهر بالبراعة في فن الخطابة وفصاحة اللسان وقوة الحجة والبرهان والاستدلال من دون تكلف ولا استطلاع، فقد بذل رفقة مجموعة من علماء الجزائر ومن بينهم ابن باديس والبشير الإبراهيمي جهوداً كبيرة للإصلاح وبث الأفكار التحررية، عبر "سلسلة من المدارس، والجرائد، والنوادي الثقافية، ثم خلال الوعظ والإرشاد في المساجد"⁶.

وعمل هؤلاء العلماء على شنّ حملة واسعة على المستوى الاجتماعي والتي كانت مرتبطة بالمستعمر الفرنسي الذي عمل جاهدا على طمس الهوية الجزائرية والقضاء على الدين الإسلامي ووحدة الشعب، فقد "بذل الاستعمار الفرنسي كل ما في وسعه من أجل القضاء النهائي على الكيان الجزائري، وإيقاف لهيب المقاومة المسلّحة والانتفاضات الشعبية التي عرفتها البلاد، منذ أن وطأت أقدام الغزاة الفرنسيين أرض الجزائر"⁷، وهو ما كان دافعا قويا للعلماء والأدباء للسعي إلى الدعوة والكفاح، وإلى مساندة الثورات الشعبية والثورة المسلحة، من أجل الوصول إلى الحرية والاستقلال.

4. نشاط العقبي الأدبي والصحافي:

بذل العقبي جهودا كبيرة منذ عودته من أرض الحجاز إلى وطنه الأم الجزائر، فقد وعى ثقل المسؤولية التي تنتظره، ولهذا سعى إلى نشر العلم والوعي وسط الجزائريين، عن طريق نشاطه الديني والأدبي، فقد كان يلقي خطبا وعظمية في المساجد، ويستعين بقلمه في كتابة الشعر والمقالات الأدبية الإصلاحية التي كان ينشرها في الصحف، ومن بينها صحيفتي "المنتقد" و"الشهاب". ف "مواهب العقبي لم تكن تنحصر في موضوع، فهو في كل ميدان (فارس الميدان)، وشأنه في شعره كشأنه في نثره يدعو إلى المكارم والحامد لا يجحد عن الحق والعدل، ولا يأبه للظلم والعدوان، وشعره شعر العلماء المصلحين، وهو حين يساجل فيه، يأتي بالدرر والغرر من محفوظاته ومنظوماته"⁸، وقد عرف بنشاطه الإصلاحي في الصحافة الجزائرية لأنه كان يدرك دورها في نشر الوعي فكان ذا جهد إعلامي في ميدان الصحافة المكتوبة التي اعتمد عليها كمنبر ينشر فيه خطبه ودعوته الإصلاحية.

ولهذا فقد حاول أن يجعل من شعره سلاحا في وجه المستعمر الفرنسي وأتباعه من ضعاف النفوس، ومن الذين ينصبّون أنفسهم ناطقين رسميين لفرنسا. فكان شعره وكذلك نشره ميدانا خصبا للجهاد والإصلاح الديني، فقد كان "نثره مجموعة مقالات وبحوث ودراسات ومحاضرات، وغيرها، كان ينشرها في الصحف المحلية داخل الوطن، وكلها تصب في قالب الحركة الإصلاحية الدينية التي كان قطبا من أقطاب نهضتها العامرة"⁹.

وكتابات لم تكن تروق للكثيرين، لأنه كان صريحا في القول والبيان في الحجة، يدعو إلى دين الحق وإلى استنهاض الهمم الراكدة، ولهذا فقد وجد معارضة قوية خصوصا من الاستعمار الفرنسي الذي كان يعارض كثيرا نشاطه الصحفي في جريدتي الشهاب والبصائر التابعتين لجمعية العلماء المسلمين.

5. علاقة الطيب العقبي بالصحافة:

علاقة الطيب العقبي بالصحافة ترجع إلى وقت وجوده بالحجاز، في السنوات الأولى من القرن الماضي، وفي مكة المكرمة كان يشرف على جريدة القبلة حيث قال: "وما وصلت أنا إلى مكة المكرمة حتى لقينا من لدن جلالة الملك حسين- كل ما هو أهله من الإكرام والإجلال، وهناك عيّنت مديرا لجريدة القبلة"¹⁰، ولما عاد إلى الجزائر سنة 1920 انضم إلى جمعية العلماء المسلمين وهناك بدأ الكتابة في جرائد كصدى الصحراء وجريدة المنتقد والشهاب كما كان مسؤولا على تحرير عدد من الجرائد كالسنة والصراط التي كانت تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين.

وكان للطيب العقبي علاقة قوية مع الصحافة، ولهذا فقد خصّها بمجموعة من المقالات؛ يعرفها ويظهر دورها وقيمتها وكذلك خطرهما على المجتمع، فهي سلاح ذو حدين قد يحيي وقد يقتل، وهذا حسب طريقة استعماله صحيحة كانت أو خاطئة، فهو يرى أنّ للصحافة دورا كبيرا في المجتمع، لأنّها تقوم على التوجيه السليم وعلى بناء الأفراد، ويؤكد على أنّ "الصحافة مهنة شريفة وصناعة تعالي قدرها وعزّ شأنها عن أن يقوم بها سوقة الناس أو أعيان الأمم وبسطاء الشعوب... بل لا يقوم بها إلا رجال علماء أكفاء"¹¹، فهو يدرك أهمية الصحافة وخطورتها ولهذا يؤكد على أنّ "الصحافة لها منافع جمّة وفوائد كبرى ولكن عند الأمم التي تحسن استعمالها وتعرف كيف تسير بها، ورجال الصحافة في كلّ الأمم هم قادة الأفكار اليوم وهم في الحقيقة الذين بيدهم -بعد إرادة الله- حركات الشعوب وسكناتها وهم الذين يثيرون في العواطف كامنها ويعلنون ما تضره نفوسهم وتنطوي عليه ضمائرهم، فما تلبث الأمة أن تنقاد لهم وتأخذ بأقوالهم وتستجيب لندائهم فكم حرب أثاروا وكم حرب أطفأوا وكم أفسدوا وكم أرضوا وكم أغضبوا وكم..."¹²

6. خصائص فنية في قصيدة الجزائر تحيي الجزائر للطيب العقبي:

شعر العقبي وإن غلب عليه الطابع الديني الإصلاحية إلا أنّه لا يخلو من المسحة الجمالية، فمنازحه الشعرية المقطوعات منه والقصائد الطوال تتميز بروح شعرية صادقة لأنها تنبع من صدق الشعور، فهو لا يخلو من التعبير عن حب الوطن والدعوة إلى التحرر، وقد كان العقبي يرى أنّ الجهاد لا يقتصر على حمل السلاح إنّما قد يكون بوسائل أخرى ومن بينها تحرير الصحافة، ولهذا فقد سعى جاهدا إلى تطوير الصحافة المكتوبة والمسموعة لإدراكه أهميتها في نشر الوعي والتنوير، خاصة أمام نشاط الطريقين المدعّمين من فرنسا، والذين كانت غايتهم هي الإبقاء على الجهل قصد بسط أكبر قدر من السيطرة، والقصيدة التي بين أيدينا تظهر لنا مقدار الاهتمام بالصحافة وبدورها في نشر الوعي الديني والوطني.

عنوان القصيدة هو "الجزائر تحيي الجزائر"¹³، والتي قالها يحيي جريدة الجزائر وهي منشورة في كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر لمحمد أمين السنوسي الزاهري، ج1، تونس، 1926، وهي نونية على وزن بحر البسيط ذات القافية المطلقة المناسبة لغرض الدعوة والنداء والحث على العمل، وقد استهلها الشاعر بالدعوة إلى تحية الجزائر وإلى نهضة شعبه والعمل على استعادة حقوقه المهضومة والتي انتهكها الاستعمار الفرنسي في ظلّ سياسته التعسفية في حقّ الشعب الجزائري الذي يطمح إلى التحرّر- تلك الحقوق التي لا يمكن الوصول إليها دون التسلّح بالعلم والمعرفة، يقول الشاعر:

حيي الجزائر مادامت تحيينا _____
 واهض بشعب قضى في جهله حيناً
 واعمل لخير بلاد طالما هُضمت حقوقها
 واتخذ من جهل ديننا _____
 وسر حثيثاً إلى تلك الطريق إلى _____
 حيث المعارف حيث العلم يهديننا¹⁴

فالشاعر يصرّح علانية بأنّ حقوق الجزائريين مهضومة، وهذا بسبب الجهل السائد وسط الشعب، والذي بقي متمسكاً بحبه للوطن على الرغم من كلّ المعارضات اليومية التي يتعرّض لها، ولهذا فالشاعر يحاول بثّ الروح الوطنية التي لا تكون إلّا بالتمسك بالعلم والابتعاد عن الجهل والخرافات، فالعلم هو طريق النور والهداية وأمل الحصول على التحرّر.

ثم ينطلق الشاعر مباشرة في الموضوع الرئيسي للنص (القصيدة) وهو الدعوة إلى الاهتمام بالصحافة والنهوض بها لأنّها السبيل إلى نشر الوعي الثقافي والأدبي والتحرري، ولهذا فقد دعا أن تكون صحافة حرة ومحايدة، بعيدة عن كلّ من يعاديه ويحرمها، يقول:

تلك الصحافة لو تندی الأكف لها لا شيء عنها مدى الأيام يسلينا
 مرحى لها وبمن قاموا بواجبها يدعوننا علنا للحق يصغينا
 أخزى الإله أناسا لا خلاق لهم زعانفا بخسيس العيش يرضونا
 قد حرّموها ولم يدروا حرمتها حقا لجهلهم بل كيف يدرونا
 هم شرّ كلّ الورى تعسا لرائدهم ولست أحسبهم إلا شياطينا¹⁵

إنّ المحايدة هي الشرط الأساسي لنجاح العمل الصحفي في نظر الطيّب العقبي، فقد رأى تأثير انحياز الإعلام لطرف دون الآخر وإخفاء الحقيقة، وذلك يكون له تأثير سلبي على حرية التعبير، فالشاعر يؤكّد على أهمية النشاط الصحفي، والأخلاق العالية التي تصاحبه ويعترف بأهمية القائمين بواجبهم ويدعون للحق، على عكس المعارضين لها ولمبادئها، فيحرمونها لجهلهم مدى تأثيرها الإيجابي في المجتمع وهم في رأيه مجرد شياطين وشرّ كلّ الورى.

وبعد دعوته إلى نبذ المعارضين للصحافة ولقيمتها في المجتمع، راح يعرج للحديث عن ماضي الجزائر

العريق الذي لا ينكره إلا الجاهل:

وإن تسلي كيف كنا ثم مال بنا ريب الزمان فخذ ما قيل تضمينا
(كنا قلادة جيد الدهر وانفرطت وفي يمين العلا كنا رياحيناً)
(وكانت منازلنا في العز شامخة لا تشرق الشمس إلا في مغانينا)
(وكان أقصى منى نهر المجرة لو من مائه مزجت أقداح ساقينا)
(والشهب لو أنها كانت مسخرة لرجم من كان يبدو من أعادينا)
(فلم نزل وظروف الدهر ترمقنا شزرا وتخدعنا الدنيا وتلهينا)
(حتى عدونا ولا جاء ولا نشب ولا صديق ولا خل يواسينا)¹⁶

يقف الشاعر موقف المتأمل والمتحسر على الماضي المجيد لوطنه الجزائر، كيف كان موطننا للعزّ والجاء والمهابة وهذا قبل أن يتغير الزمان ويميل به الأعداء، وكيف أصبح وحيدا في الميدان تتقاذفه نوائب الدهر دون أن يجد من يأخذ بيده إلى برّ الأمان، فشتان بين الأمس واليوم، حين كان للجزائر قيمتها وشأها بين البلدان، ولكن رغم ما تعرضت له الجزائر من احتلال إلّا أنّ الشاعر يؤكّد على استمرار مجد الجزائر على الرغم مما تعرضت له من سلب للحرية وفقد للأمن والأمان تواسيها نفسها بنفسها بعد أن تنكّرت لها باقي البلدان التي كانت بالأمس صديقة، ولإظهار ذلك وتأكيد استعين الشاعر بالأساليب البيانية التي تغلب عليها الاستعارات المكنية ليخاطب القلوب المتيّنة من أبناء وطنه ويحاول إحياءها، وهو أسلوب يتعمّده الشاعر حتى يخاطب المستسلمين للدهر والقدر دون أن يحاولوا رفع رداء الذلّ والمهانة عنها، فيبعث الهمم في الشعب قائلا:

يا صاحب الشرف الأسمى وحاميه جرد حسامك واعمل حازما فينا
بالجد يبني بناء المجد صرحهم ولم أجد طالبا للمجد مغبونا
هي الحياة فسر فيها على حذر واصعد بقومك واصدع كالحقينا
نادانا إنّنا ملّنا مضاجعنا منا الجنوب وملّ القوم نادينا¹⁷

لم يجد الشاعر إلّا أن يقف مناديا على الغيورين على الوطن وهم أصحاب الشرف، فيدعوهم إلى الجهاد في سبيل الوطن (جرد حسامك)، كما أنّه يقف موقف الأمر والتّأصح إلى ما يراه في صلاح الفرد والمجتمع، ولهذا توالى أفعال الأمر (جرد - اعمل - سر - اصعد - اصدع - نادنا) كي يعبر على ضرورة التغيير والسير إلى الأمام بدل الوقوف على عتبة الماضي، فمنه نستفيد حتى نمضي قدما إلى الأمام، فمن أراد استرجاع العزّ عليه بالعمل والأخذ بالعلم سلاحا يشهره في وجه الأعداء (الفرنسيون منهم والطريقون)، لأنّ الشاعر يدرك تماما أن السبيل

الوحيد إلى القضاء على الفقر والعين الاجتماعي هو العلم والعمل الجادّ، وهو الهبة الجماعية لبناء المجد واسترجاع الحق المهضوم:

هبوا بني وطني من نوم غفلتكم	جلّ المصاب وخطب الدّهر يرمينا
تعلموا العلم وامشوا في مناكبها	وجانبوا كسلا أودى بماضينا
وزاحموا الغرب في الدنيا ولذتها	وجدّدوا عصر عز في تعالينا
ما كان قطّ حراما في شريعتنا	سير بأوطاننا فيمّا يرقينا
هذي بلادكم ترنوا لنهضتكم	وكتّر ثروتكم مازال مخزوننا
لا تهمّلوا خدمة الأوطان واتحدوا	فباتحادكم الأوطان تدنينا ¹⁸

مازال الشاعر في موقع الأمر والناصح، بلهجة شديدة لأنه يعلم بما يحيط بوطنه من هم وغم فرضه الاستعمار الفرنسي وزاد من قساوته انتشار الجهل والأمية وسط الشعب الأعزل، فالشاعر القادم من البيئة الحجازية المتعلمة يسعى لحث مجتمعه على كسر الغلال واستثمار الثروات التي تنهب أمام عينيه بينما يعيش هو في الفقر والحرمان، فيأبى الشاعر بدور الاتحاد قوي، ولهذا فهو يراه الخلاص الوحيد من القيود المفروضة عليه، فلهذا يواصل النصح والإرشاد قائلا:

إنا لننصحكم حقا ونرشدكم	نبغي هداكم وللإصلاح داعينا
حيّي (الجزائر) ما قامت بواجبها	وحّي صاحبها مهما يميننا
يحي (سعيدا) ويحي الشعب في سعة	يزهو في أنبائه غرا ميامينا ¹⁹

يصرّ الشّاعر عن طريق النصّح والإرشاد على أنّ الإصلاح غايته، ولهذا فهو لا يتوانى عن ذلك كلما سمحت له الفرصة، فأبناء شعبه بحاجة ماسة إلى مرشد يدهم على طريق الهداية والصواب، والشاعر في الشعر كما في النثر يختار طريق النصّح والدعوة إلى التحلي بروح المسؤولية من أجل بناء الجزائر التي يحلم بها الجميع.

7. نتائج الدراسة

من خلال تناولنا جانباً من المسار الفكري والأدبي للطبيب العقبي، وتحليل قصيدته «الجزائر تُحيّي الجزائر»، توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

- لقد مثّلت الصحافة الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية عامل إزعاج حقيقي للسلطات الفرنسية، التي انتهجت سياسة انتقائية في تعاملها مع المنابر الإعلامية، فدعمت ما يخدم مصالحها، وسعت إلى تهميش أو إغلاق كل ما يعارض توجهاتها، سواء عبر فرض الرقابة أو التعتيل المباشر للصحف والمجلات.

- أّسم العمل الصحفي آنذاك بطابع نضالي واضح، إذ شكّل وسيلة مقاومة فكرية في مواجهة سياسة القمع وتكميم الحريات.

- أدرك الجزائريون مبكرًا حقيقة المشروع الاستعماري، فتنوعت وسائل تصديهم له بين الكفاح المسلح والمقاومة بالقلم، في سبيل استرجاع السيادة الوطنية. وفي هذا السياق.

- لعبت الصحافة الحرة دورًا محوريًا في الدفاع عن هوية المجتمع الجزائري، حيث سنّ عدد من الصحفيين كتاباتهم لمساندة الشعب والدعوة إلى التحرر من الاستعمار الذي سعى إلى طمس مقومات الشخصية الوطنية.

8. الخاتمة

يتّضح مما سبق أن الطيب العقبي جعل من نتاجه الأدبي، شعرًا ونثرًا، أداة فاعلة في خدمة قضايا وطنه، مجسّدًا بذلك التزامه الإصلاحية والوطني، دون أن يثنيه عن ذلك ما تعرّض له من مضايقات، سواء من بعض التيارات الدينية التقليدية أو من الإدارة الاستعمارية التي رأت في خطابه خطرًا يهدد مشروعها. كما أسهمت الصحافة الجزائرية خلال العهد الاستعماري في نشر الوعي الوطني بين أفراد المجتمع، بدعم من نشطاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذين تصدّوا للصحافة الموالية للاحتلال، وسعوا إلى ترسيخ قيم الإصلاح والنهضة. وتعدّ قصيدة «الجزائر تُحيي الجزائر» التي أُلقيت في مناسبة الاحتفاء بالصحافة الجزائرية، تعبيرًا صريحًا عن تنامي الوعي القومي والإصلاحي لدى نخبة من علماء الجزائر، الذين كان لهم حضور بارز في مختلف الصحف الوطنية.

ومن بين الاقتراحات التي نقترحها هو تلقين الأجيال الصاعدة مهمة الحفاظ على مهنة الصحافة كمهنة نبيلة غايتها الأولى والأخيرة نشر الوعي وروح الحوار، وكذلك الحفاظ على الوحدة الوطنية والتمسك بأهم مبادئها.

9. الهوامش:

1. أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، 2006، ط1، الجزائر، دار هومة للنشر، ص16.
2. المرجع نفسه، ص28.
3. محمد علي دبوز، فحصة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، 1971، ج2، ص106.
4. أحمد مريوش، ص70.
5. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، الجزائر، دار الكتاب، ص253.
6. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1983، ج3، الجزائر، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، ص422.
7. مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (1954، 1962)، 1998، دراسة موضوعية فنية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص11.

8. محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر، 2007، الجزائر، منشورات وزارة الثقافة، ص117.
9. المرجع نفسه، ص118
10. محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص128.
11. الطيب العقبي، 14 مارس 1924، " الصحافة ومن هم رجالها"، البرق، ع 2.
12. المرجع نفسه، بتاريخ 21 مارس 1927.¹²
13. محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر، منشورات وزارة الثقافة، 2007، ص117.
14. المرجع نفسه، ص 119.
15. المرجع نفسه، ص 119-120.
16. المرجع نفسه، ص 121، 122.
17. المرجع نفسه، ص123.
18. المرجع نفسه ص 125.
19. المرجع نفسه، ص126.

10. قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1983، ج3، الجزائر، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع.
- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، الجزائر، دار الكتاب.
- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، 2006، ط1، الجزائر، دار هومة للنشر.
- محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر، 2007، الجزائر، منشورات وزارة الثقافة.
- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1.
- محمد علي دبوز، نخضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، 1971.
- مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي (1962، 1954)، 1998، دراسة موضوعاتية فنية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

المجلات والصحف:

- الطيب العقبي، 14 مارس 1924، " الصحافة ومن هم رجالها"، مجلة البرق، العدد 2.